

تصدير

تحتفل القاهرة بعد أربع سنوات بمرور ألف سنة ميلادية على إنشائها، ومازالت هذه العاصمة العربية تحتفظ من عهد نشوئها بآثار جلية. ومع ذلك فإنها لم تحظ حتى الآن بظهور كتاب باللغة العربية يسجل آثار ذلك العصر الفاطمي، ويخصها بالفحص والرعاية والتحليل والإطراء، إذا استثنينا كتب الخطط القديمة والجديدة. أما باللغات الأوروبية فقد ظهرت عدة كتب أشرت إليها في صفحات هذا الكتاب، وسجلت أسماءها في مراجعه، وأهمها كتاب (كريسويل)، «العمارة الإسلامية في مصر في العصرين الإخشيدى والفاطمي»، الذي ظهر في سنة ١٩٥٢. وهو كتاب ضخم مفصل، موضح بالرسوم التخطيطية والزخرفية والصور الفوتوغرافية. ويعتبر هذا الكتاب مرجعاً رئيسياً لآثار العصر الفاطمي المعمارية، وأعترف أنني قد أفدت منه، ولكنني لم أنقل عنه أو أقتبس منه، ولم أتبع طريقته أو أنسخ منها، بل إنني عارضت بعض الآراء التي أبدتها مؤلفه.

وقد تابعت في هذا الجزء الأول البحث الذي أوضحت منهجه منذ أكثر من سنتين في «المدخل إلى مساجد القاهرة ومدارسها». وقد تناول هذا «المدخل» بحوثاً عن دراسات الآثار العربية الإسلامية، والنبأى الرئيسية لهذه الدراسات، واستعراضاً لآثار عواصم الديار المصرية العربية قبل إنشاء القاهرة. واقتضت هذه البحوث أن يمتد نطاق «المدخل» فيشمل عرضاً للمساجد الجامعة المعروفة فى العصور الإسلامية الأولى، ودراسة لتاريخها ونظم تخطيطها، وتحليلاً لحكمة هذ التخطيط ومصاربه ومراحله.

ويتناول هذا الجزء الأول من «مساجد القاهرة ومدارسها»، دراسات عن تطور نظم المساجد فى العصر الفاطمي، من حيث التخطيط والعمارة والزخرفة. واقتضت هذه الدراسات - بعد استعراض الآثار المتخلفة من تلك الفترة التي امتدت قرنين من الزمان - أن تحلل العناصر لاستخراج أحكامها، وأن تراجع المصادر للكشف عن الخصائص التي تمتاز بها عمارة ذلك العصر وزخارفها، وأن تناقش آراء العلماء والمستشرقين لتحديد أوجه الجق أو الباطل فيها، وأن يرد الفضل إلى أصحابه من رجال الهندسة والفنون.

وسنرى أن آثار القاهرة التي تبقت من العصر الفاطمي - بالرغم من قلتها عدداً بالنسبة لمنشئات ذلك العصر - ترمس صورة واضحة لازدهار حضارته، وانطباع الحياة فيه بالتريف والثراء.

دكتور أحمد فكرى

أستاذ تاريخ الحضارة الإسلامية

بجامعة الإسكندرية (سابقاً)

وأستاذ الآثار الإسلامية بجامعة بغداد

أول المحرم سنة ١٣٨٥ هـ

٣ مايو ١٩٦٥م

بغداد فى